المتاحف ودورها فى التنمية الثقافية*

دكتور
علاء الدين عبد المحسن شاهين **

أن مكانة « المتحف » فى المجتمع تتنوع وفقا لخصائص وشخصية مجتمع ما ومساهمته فيه ، وموقعه ، ونمط مجموعته المتحفية وزواره . إن المتحف لم يعد مجرد بناء ضخم يضم آثارا جامدة فى أماكن تكفل لها الحماية والأمان من أجل تكريم الماضى ... يسعى إليها الناس أيام العطلات والأعياد لتمضية أوقاتهم ..... بل أصبح مركزا حضاريا تعليميا له أهدافه ومهامه فى إكتساب المعرفة والاطلاع المباشر على التراث الحضارى (١) ، ومؤسسة فى مقدورها الوفاء بمطالب متعددة وإتجاهات متنوعة لزواره ما بين سائح متعجل يستطيع خلال جولاته فى أروقته أن يقرأ تاريخ أمة وحضارتها ، وباحث دؤوب ومتحمس للآثار يستنبط من موجوداتها حقائق علمية ومادة أساسية عزت على الكتاب بين دفتيه ، وطلاب مدارس يتعرفون من خلالها على تراث وطنهم وأمتهم ، وكسول خالى من العمل له رغبة حب الاستطلاع (٢) . ولعل هذا يدفعنا إلى التساؤل عن ما هية المتحف ودوره كمؤسسة تعليمية ثقافية ترويحية فى مقارنة مع المؤسسات الأخرى ؟ وملامح إختلافه عما سواه من مؤسسات أخرى « الأندية الرياضية ، المحلات التجارية ، السينما

(**) أستاذ الآثار المصرية المساعد – كلية الآثار – جامعة القاهرة .

(*) كان مقررا لموضوع البحث أن يلقى ضمن الأبحاث المشارك بها فى أعمال المؤتمر القومى الثانى للمتاحف « ٤ – ٦ يناير ١٩٩٢ » بالقاهرة ، ولكن لظروف طارئة تقرر تأجيل المؤتمر لأجل غير مسمى وأن ظلت فكرة النشر العلمى له قائمة . وأنه ليسعدنى أن أتقدم بالشكر للأستاذ الدكتور على رضوان لإرشاداته العلمية أثناء إعداد هذا البحث .

(١) غربية « عز الدين » ، « المتحف كمؤسسة علمية » **المتحف العربى** ، السنة الأولى العدد الأول « يونيو ١٩٨٥ » ص ٣٠

(٢) Gianella, J. " The Future of National Archaeological and Anthropological Musuem of Peru " **Museum** 4 (1982) p. 252.

إلخ » ؟ ومدى إمكانية التغلب على الفكرة السائدة – ظاهريا – عن كون المتحف مؤسسة مختلفة عما سواها وإنها مؤسسات مخصصة لجمهور بذاته « متحف الفن مثلاً » وإن زيارة المرء لها يتطلب إعداد نفسى معين لها ؟ (١) .

إن أهمية المتحف واضحة فى المجال الثقافى فى بناء الإنسان الثقافى عن طريق تعريف المرء بتاريخه وجهود أسلافه وتقدير أمجادهم فى بناء حضارته وتراثه ، إلى جانب ، إكسابه المهـــارات التى تعينه على مواجهة حاضره بما يساعد على تحديد المنظور المستقبلى لوطنه (٢) . كما أنه من أهداف المتحف التعريف بالتجارب الإنسانية فى التاريخ التى أدت إلى إنجازات رائعة فى مجال الثقافة ، وذلك بعرض القطع الفنية المميزة التى تبين أبعاد الفن ومفهومه ، وأساليبه وطرزه عن طريق توفير العناية بأساليب العرض وتسهيل الاطلاع والزيارة والعمل على جذب الزائر واستثارة فضوله وتقديم ما يرغبه من معلومات عن طريق البطاقات والإذاعة وعبر شاشات التلفزيون (٣) . وإذا كان عصرنا الحديث يتميز بشعار « الثقافة للجميع » ، وأصبحت مكانة وقوة مجتمع ما تقاس بمدى إنتشار الثقافة والمعرفة فى أوساط الجماهير الشعبية التى من حق أفرادها التعلم والثقافة فإن للمتاحف دور هام وحيوى فى هذا المجال من زيادة معلومات زائريها ومن توسيع آفاق إطلاعهم (٤) . إن قدرة المتحف على إمكانيات تثقيف الشعب بإختلاف طبقاته بصورة مبسطة لا يبلغها وسيلة أخرى تبدو إحدى المزايا الخاصة به ، حيث أنه يعرض فى مكان واحد أهم ما عرف عن كل علم ، وما وجد من كل فن . وبذلك يعتبر المتحف كتاباً مفتوحا يمكن الصغار والكبار ، والمتعلمون والأميون من فهم محتوياته ، ويتيح لهم فى ساعات ما لا يمكن أن يتعلموه ويقرأوه فى أيام بالوسائل الأخرى (٥) . كما أنه بإستخدام المرء للمعارض والعروض والرحلات الموجهة والمحاضرات والكتالوجات وتقارير البحوث وغيرها ما يدفع

---

(١) Eisenbeis, M. " Elements for a Sociology of museum " **Museum** 24, 2 (1972), p. 113.

(٢) غربية ، **المرجع السابق** ، ص ٣٠

(٣) غربية ، **المرجع السابق** ، ص ٣٢

(٤) زهدى « بشير » ، **المتاحف** ، دراسات ونصوص قديمة ٢ دار القلم العربى للنشر والتوزيع ، حلب ١٩٨٨ ص ٧٢ – ٧٣

(٥) غربية ، **المرجع السابق** ، ص ٣١ ؛ عياد موسى العوامى ، **مقدمة فى علم المتاحف** ، طرابلس : ١٩٨٤م ص ٥٩ – ٦١

الزائر قدما إلى مادة المتحف الأولية فى أثناء زياراته أو بحوثه [١] . إن مجموعات المتحف من القطع ، أو الأشياء والنماذج والأرشيف المقروء ، والأرشيف المرئى ذى الوسائل البصرية ، والكتب لتزود المرء بمفتاح المعرفة فى المجالات المختلفة فيما يتصل بكثير من المظاهر المتنوعة مما يزيد من مفهوم المتحف كمؤسسة ثقافية تلعب دوراً هاماً فى البناء الثقافى للمجتمع المحيط به ويزيد من وضوح « الدور المزدوج » للمتحف من كونه « المبنى » المتضمن للمادة المتحفية « أثارية – فنية ..... إلخ » المعروضة به ، والتى يقصدها المرء لذاتها ، أو «المتحف » المشارك بنشاطات ثقافية من محاضرات ، دورات أكاديمية ، معارض ... إلخ فى ربط جمهور أوسع بالمكان [٢] .

وتبدو مهمة المتحف أكثر وضوحاص فى مجال نشر الثقافة الأثرية والعلمية وفى القيام بالتنقيب عن الآثار وصيانتها والكشف عن مخلفات الأقوام السابقة والحفاظ عليها فى مواضعها الأصلية أو فى المتاحف ، والعمل على نشر البحوث والدراسات عن هذه المقتنيات الحضارية ليطلع عليها الإنسان فى عصرنا الحاضرللتعرف على أسباب التمدن والحضارة ويفيد منها الباحثون فى علم الآثار والتاريخ [٣] ، ولكى يحقق المتحف بإعتباره مؤسسة تعليمية هدفه فى تثقيف الجمهور أن يقوم بعدة خدمات لعل من أهمها إنشاء صالات العرض سواء الدائمة منها أو المؤقته ، وأن تكون تلك معدة بطريقة ممتعه تجذب إهتمام الزوار ، مع مراعاة القيام ببحوث حول أفراد الجمهور تقيس مدى تجاوبهم مع المعروضات ، وكذلك حساب مدة زيارتهم للمتحف ، وأى أنواع المعروضات تجذب أهتمامهم أكثر من أجل معرفة نقاط القوة والضعف فى ذلك المعرض [٤] . ولقد أشار العديد من المتخصصين إلى الدور التربوى الهام للمتاحف ودور « أمين المتحف » فى تنظيم « الدائرة التربوية » التى تسهم فى التعريف بأهمية المتحف ومجموعاته للجمهور ، وأشار « جرمان بازان « إلى إعتبا ر المتحف « معهد تعليم » له دور تربوى ودور مساعد للتعليم [٥]

---

(١) يوهانسون « هانز » ، « تقنيات جديدة فى متاحف قديمة » ، ترجمة أدهم محمد سليم المتحف ٢١ «١٩٨٨» ، ص ٣٠ – ٣١

(٢) Eisenbeis, Op. cit,. p. 114

(٣) غربية ، المرجع السابق ، ص ٣١ ؛ العوامى ، المرجع السابق ، ص ٥٩ – ٦١

(٤) العوامى المرجع السابق ، ص ٦٢ – ٦٣ ؛ Eisenbeis, Op. cit, pp. 117-19

(٥) زهدى ، المرجع السابق ، ص ٧٨

إضافة إلى ذلك فإن للمتحف دور هام فى مجال التنمية الثقافية للأطفال والشباب حيث يمكن تقديم « التاريخ الطبيعى » على سبيل المثال للأطفال والشباب فى توافق مع العمر والنشاط والأهتمام . وتعتبر « قاعة الأطفال » (Children Hall) فى متحف التاريخ الطبيعى فى فيينا الأولى من نوعها فى متاحف أوربا فى هذا المجال ، ومكنت القائمين على المتحف من إجتذاب زوار جدد له (١)

وبالمثل فإن للمتحف دور هام فى مجال التنمية الثقافية لطلاب المدارس حيث أن زيارة طلبة المدارس للمتاحف – مثلها فى ذلك زيارتهم إلى حدائق الحيوان والمراكز العلمية – من الأمور الضرورية حيث تعطى للطالب الحقائق كما هى عليه فى الطبيعة وليس فقط كما يرونها فى الكتاب المدرسى كما أنه يمكن أن يوضع العديد من النماذج الحديثة المشابهة لتلك القديمة ضمن ما يسمى Diorama حيث يستطيع النشىء لمسها بأيديهم مما يساعدهم على تفهم الحقائق التاريخية إلى جانب الصور التوضيحية المناسبة (٢) . وقد أعتبرت لجنة الأيكوم الدولية للتربية والعمل الثقافى « المتحف المساعد المثالى للتعليم الرسمى » ، وأنه يسهم فى إثارة وتنمية حب العلم والفن والمعرفة عند الطفل وحثه على العمل والأبداع ، وأن مجموعات المتحف خير منبه للأحاسيس عند الطفل وخير مساعد له فى تنمية إدراكه ووعيه . (٣) وأنه إذا كان من الصعب على كثير من المتاحف إنشاء قسم خاص بالتعليم بها « ما يسمى : Center for Museum Education » يكون من مسؤليته إعداد برامج الزيارات ، فإنه يمكن الإستعانة بالمتطوعين فى هذا المجال ولعل هذا هو السائد فى المتاحف الأوربية و الأمريكية (٤) . ولعل أهم ما يميز المتاحف الأمريكية فى مجال التنمية الثقافية كونها معاهد حقيقية للتربية والتعليم استخدمت فيها وسائل كثيرة تجعل الحصول على العلم من خلال معروضاتها شيئاً ميسرا حتى بالنسبة للشخص العادى . وكان لتأسيس «الدائرة التربوية » بها ما دعم من ادائها لتلك المهمة ومكنها من

---

(١) Paget, O. E. " The new Children's Hall at the Natural History Museum , Vienne," **Museum** 2,1 (1978), pp. 55 - 58

(٢) Wittlin, A. S. **The Museum. Its History and its tasks in Education,** London : 1949 , P. 163.

(٣) زهدى ، **المرجع السابق** ، ص ٧٨ ؛ Wittlin, **Op. cit.,** p. 188

(٤) العوامى ، **المرجع السابق** ، ص ١٢٦ ؛ محمد مرسى ، « المتحف : النشأة والدور » ، **المتحف العربى** السنة الأولى ، العدد الأول « يونية ١٩٨٥ » ، ص ١٣ –١٤

تلبية رغبات زائريها [١] . إضافة إلى ذلك ، فإنه يذكر للمتاحف الأمريكية إشتمالها على قاعات خاصة للطلبة والدارسين والمشتغلين بالعلوم والفنون منها ما يلقى فيها المحاضرات وأخرى يعرض فيها نماذج لقطع معينة بذاتها ذات إهتمام خاص بها من جمهور الدارسين [٢] . كما يقوم المتحف بتنظيم عملية مصاحبة الزائرين لزيارة معروضاته (Tour Galleries) وتنظيم المحاضرات ، إضافة إلى ما يعرف باسم « نوادى المتاحف » وما تقوم به من تزويد الراغبين فى المعلومات فى عديد من الموضوعات [٣] . كما يتميز المتحف الأمريكى أيضا بإتصالاته مع الجمهور خارج وحدة « المبنى المعمارى » عن طريق ما يسمى « ظابط الأتصال » (Liaison Officier) والذى تتعدد المهام الملقاه على عاتقه من إتصال بالهيئات العلمية والشركات والمدارس والجامعات .... الخ ، وتنظيم زيارات لأفراد تلك المؤسسات للمتحف ، أو بتزويد جمهور تلك المؤسسات بمن هو قادر على إلقاء المحاضرات العلمية فى مجال تخصصه مما ينعكس بدوره لجذب جمهور تلك المواقع للحضور بذاتهم إلى المتحف لمشاهدة تلك المعروضات ذاتها التى تناولها المشاركون فى « الدائرة التربوية » فى المتحف [٤] .

إن المتحف لكى يحقق أهدافه بصفة عامة ، والثقافية منها بصفة خاصة يجب عليه تعزيز العلاقة بين المتحف والمواطنين من أجل مزيد من الجهد لتعميق العلاقة بين المواطنين وتراثهم الحضارى عن طريق الأهتمام بالآثار والمحافظة عليها وتقدير الجهود المبذولة فى صيانتها إلى جانب تشجيع المؤسسات والجمعيات والأفراد ذات الصلة والأهتمام بحقل الآثار [٥] . ومن ناحية أخرى ينبغى توثيق العلاقة بين المتحف والجامعات المحلية وبخاصة أقسام التاريخ والآثار لتبادل المعلومات فى مجال الأكتشاف والتوثيق وتنسيق الجهود لرفع مستوى المتاحف .

وهكذا فإن مكانة المتحف تنوعت وفقا لخصائص وشخصية مجتمع ما ومساهمته فيه، وموقعه ، ونمط مجموعته المتحفية ، وزواره .

---

(١) زهدى ، **المرجع السابق** ، ص ١٠٢ ؛ Wittlin, **Op cit.**, p. 166

(٢) مرسى ، **المرجع السابق** ، ص ١٤

(٣) Wittlin, **Op cit.**, p. 164

(٤) Wittlin, **Op cit.**, p. 164-165

(٥) غربية ، **المرجع السابق** ، ص ٣٣

ولم يعد المتحف باطلاق مجرد بناء ضخم يضم آثارا جامدة يسعى إليها المرء أيام العطلات والأعياد لتمضية أوقات فراغه . بل أصبح مؤسسة تعليمية أساسية ضمن مؤسسات المجتمع تلعب دورا هاما فى تنشئة المرء وفى بناء تكوينه الثقافى سواء أكان طفلا أو شابا متعلما أو فردا عاديا. وقد لعبت « الدائرة التربوية » Center for Museum Education فى بعض المتاحف - وخاصة الأمريكية منها - دورا هاما وحيويا فى مجال التنمية الثقافية . وقام ما يسمى « ضابط الأتصال » Liaison officer بدور أساسى لتحقيق هذا الهدف المنشود .